

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١١/١٠م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنت أذكر سابقاً أحداثاً من سيرة النبي ﷺ وقعت على إثر غزوة بدر، ومن ضمنها أحداث هامة وقعت في السنة الثانية من الهجرة أحدهما إنشاء مقبرة جنة البقيع. والتفاصيل الحاصلة بشأن تأسيس جنة البقيع وبدايتها هي كالتالي: حين هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كانت هناك مقابر كثيرة، فكانت لليهود مقابر خاصة، وكانت لشتى القبائل العربية مقابر خاصة، كانت المدينة الطيبة مقسمة إلى مناطق مختلفة، فكانت كل قبيلة تدفن أمواتها في مكان مكشوف، وكانت مقبرة قباء مشهورة أكثر، وإن كانت هناك مقابر صغيرة أخرى كثيرة. كانت لقبيلة بني ظفر مقبرة خاصة ولبي سلمة مقبرة خاصة، ومن بين هذه المقابر الأخرى كانت مقبرة بني ساعدة حيث أقيمت لاحقاً سوق النبي. والمكان الذي بُني فيه المسجد النبوي كانت فيه أيضاً بعض قبور المشركين في أشجار النخيل. والمقبرة الأقدم والأكثر شهرة من بين هذه المقابر كلها كانت "بقيع الغرقد". ثم انتخبها النبي ﷺ لتكون مقبرة المسلمين فهي من ذلك اليوم تحتل مكانة متميزة وستظل تحتلها إلى الأبد.

عن عبيد الله بن أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ يبحث عن مكان يجعله مقبرة خاصة بالمسلمين، وزار بعض الأماكن لهذا الغرض، وكان هذا الشرف مقدراً لبقيع الغرقد. فقال النبي ﷺ: قد أمرتُ بهذا، أي أن أختار بقيع الغرقد. وكان يقال له بقيع الخبحة في ذلك العصر، وكان فيه كثير من الأشجار وأكثرها الغرقد والأعشاب. كان هذا المكان ممتلئاً بالبعوض والحشرات الأخرى، وعندما كانت البعوض تطير من هناك من القذارة أو الفلاة، كان يبدو كأن سحبا من الدخان قد تراكمت. وكان أول من قُبر هناك عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأسه وقال: "هذا قبر فرطنا". وكلمة مات أحد بعده سأل الناس رسول الله: أين ندفنه؟ فيقول ﷺ: "عند فرطنا عثمان بن مظعون".

والبقيع يُطلق في العربية على مكان كثير النبات، وقد عُرف المكان في المدينة الطيبة ببقيع الغرقد لكثرة أشجار الغرقد فيه كما سبق الذكر. كما كانت تكثر به نباتات صحراوية أخرى أيضا، ويقال له جنة البقيع. فالجنة في العربية حديقة أو البستان، لذا يذكر معظم الزوار الأعاجم هذا المكان بجنة البقيع. لقد كتب هذا التفصيل السيد عبد الحميد القادري. ثم يقول: لا يعين عن البال أن العرب يطلقون على مقابرهم كلمة "الجنة" عادة. من أسماء هذه المقبرة "مقابر البقيع" وهو مشهور في الأعراب أكثر.

أما التفاصيل بهذا الشأن التي أوردها مرزا بشير أحمد رحمته الله في كتابه "سيرة خاتم النبيين" فهي كما يلي: في نهاية هذه السنة أي السنة الثانية الهجرية انتخب النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه مقبرة في المدينة تُسمى جنة البقيع وكان الصحابة بعد انتخابها يُدفنون فيها بوجه عام. أول من دُفن فيها كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وكان من أوائل المسلمين جدا، كان رجلا صالحا جدا وعابدا وزاهدا. بعد إسلامه قال ذات مرة للنبي صلى الله عليه وسلم ما معناه: لو أذنت يا رسول الله لوددت أن أنذر حياتي خالصة لعبادة الله تاركا الدنيا وتاركا زوجتي وأولادي. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمح له بذلك. فالذين كانوا يزهدون في الدنيا وكانوا يُكثرون من الصوم والصلاة إلى درجة كان ذلك يؤثر في حقوق ذوي العلاقة معه، قال صلى الله عليه وسلم عنهم أيضا: عليكم أن تعطوا لله حقه ولزوجتكم وأولادكم حقه، وأعطوا للضيف حقه وأعطوا لنفسكم حقه لأن كل هذه الحقوق مما فرض الله تعالى وإن أداءها عبادة.

باختصار، لم يسمح النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن مظعون بترك الدنيا، وبعدم إجازة التبتل والرهبانية في الإسلام وضع لأتمه طريقا وسطا ما بين الإفراط والتفريط. لقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بوفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه. وقد جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قبل جبين عثمان بعد وفاته وعيناه تدمعان. وبعد دفنه وضع النبي صلى الله عليه وسلم حجرا عند رأسه علامة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب إلى جنة البقيع ويدعو له بين حين وآخر. كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه أول مهاجر مات في المدينة.

والآن أتناول غزوة بني غطفان أو غزوة ذي أمر بالذكر. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من ثعلبة ومحارب بذي أمر (هذه بلدة في منطقة غطفان) قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، جمعهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحرث من بني محارب. عند سماع هذا الخبر ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج من المدينة في أربعمئة وخمسين رجلا ومعهم أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقعت غزوة غطفان في ربيع الأول العام الثالث من الهجرة. خرج النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول. واضطر أهل المدينة لتحمل فراقه صلى الله عليه وسلم إلى ١١ يوما إذ عاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الأول.

نزل النبي صلى الله عليه وسلم لمحاربة غطفان في مكان اسمه ذي أمر لذلك سُميت هذه الغزوة بغزوة ذي أمر. وقد ورد عن خروج النبي صلى الله عليه وسلم لمقاومة اجتماع المشركين:

لقي الصحابة بعد الخروج من المدينة رجلا منهم بذي القصة (ذو القصة موضع على بعد ٢٤ ميلا من الربرة على طريق المدينة) يقال له حبان. قبض عليه الصحابة وسألوه: إلى أين تقصد؟ قال: قاصد إلى يثرب بحثا عن العمل. فأدخلوه على رسول الله ﷺ فأخبره عن أخبار قومه. بلغه النبي ﷺ دعوة الإسلام فأسلم فوراً. ولما علم أن النبي عازم على غزو بني ثعلبة وبني محارب، قال: يا محمد! لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك لهربوا في رؤوس الجبال. (أي إنهم عازمون على شن الهجوم على أطراف المدينة ولكن لن يواجهوا المسلمين) وأنا سائر معك. فضمه رسول الله ﷺ إلى بلال. فسار هذا الشخص بالمسلمين في طريق آخر وجاء بهم إلى منطقتهم. عندما رأوا قدوم جيش الإسلام هربوا وصعدوا الجبال. ووصل النبي ﷺ إلى ماء ذي أمر ونزل هنالك. عندها نزل المطر بغزارة وتبلت ثياب النبي ﷺ والصحابة ﷺ. فترع رسول الله ﷺ ثوبه ونشرهما ليحفا وألقاهما على شجرة واضطجع تحتها، وانشغل الصحابة في أعمال أخرى. ففي هذا المقام تمت محاولة قدرة لقتل النبي ﷺ. وفي هذا السياق قيل إن رجلا منهم سلّ السيف على النبي ﷺ. إن هؤلاء الناس الذين كانوا قد اختفوا في قمم الجبال كانوا يرون تحركات النبي ﷺ كلها من فوق الجبال.

لما رأى المشركون أن النبي ﷺ قد استلقى منفرداً عن أصحابه أتوا إلى سيدهم دعثور وكان أشجعهم وقالوا له: انفرد محمد عن أصحابه، فعليك به، وفي رواية: لما رأى دعثور بنفسه النبي ﷺ مستلقياً هناك قال لنفسه: إن لم أقتل محمداً الآن فليقتلني الله.

فأخذ سيفاً صارماً وانحدر حتى وصل إلى رأس النبي ﷺ، ثم خاطب النبي ﷺ قائلاً: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: "الله عز وجل". فوقع هو على الأرض ووقع السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: "من يمنعك مني؟" فقال دعثور: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً. هذا ما تعهد به، فرد إليه النبي ﷺ سيفه.

وفي رواية: لما ولى دعثور قال للنبي ﷺ: أنت خير مني.

فقال رسول الله ﷺ: "أنا أحق بذلك منك." أي أحق بأن أقوم بالإحسان إلى الآخرين.

فلما عاد دعثور إلى قومه كانت حاله قد تغيرت إذ كان يدعو قومه إلى الإسلام، فذكر ما حدث معه وكيف أنه وقع على الأرض. فيذكر واقعة وقوعه على الأرض فيقول: لما كنت واقفاً وماسكاً سيفاً صارماً رأيت رجلاً عظيماً طويلاً القامة دفعني في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، فشهدت ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم قال لن أكثر عليه جمعاً، ثم جعل يدعو قومه إلى الإسلام وهدى الله تعالى به الكثيرين.

على أية حال، حين عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق حرباً، وكانت مدة غيبته إحدى عشرة ليلة، وقيل خمس عشرة ليلة، وقال أبو عمر أن النبي ﷺ أقام في نجد كامل شهر صفر.

إنها روايات متعددة مختلفة ولكن لم يطل هذا السفر إلا لأيام عديدة.

وقد اعتبر بعض العلماء الحدث المذكور المتعلق بهجوم القاتل على الرسول الكريم ﷺ برفع السيف عليه، أنه نفس الحدث الذي وقع في غزوة ذات الرقاع، أي اعتبروهما حدثاً واحداً. لكن أغلب المحققين قالوا إنهما حدثان وقعا في غزوتين منفصلتين. ويذكر أن غورث هو اسم الشخص الذي هاجم في غزوة ذات الرقاع، كما يذكر في بعض الروايات أنه أسلم وفي أخرى أنه لم يسلم، إلا أنه وعد النبي ﷺ أنه لن يخرج في مواجهته في المستقبل أبداً. ويؤكد ذلك ما ورد في رواية في البخاري أيضاً.

ومن أحداث هذه الفترة حدث وفاة السيدة رقية وزواج أم كلثوم، وتفصيل ذلك كالآتي.

عن عبد الله بن مكنف بن حارثة الأنصاري قال: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ خَلَّفَ عُمَانَ عَلَى ابْنَتِهِ رُقِيَّةَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَمَاتَتْ يَوْمَ قَدَمِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ لِلْمَدِينَةِ بِشَيْراً بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا. وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُثْمَانَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرَهُ فِي بَدْرٍ، فَكَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا. وَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ بَعْدَ رُقِيَّةَ بِنْتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفان عند باب المسجد، فقال: يا عثمان هذا جبريل يقول عن الله تعالى: إني قد زوجتك أم كلثوم على مثل ما زوجتك رقية وعلى مثل ما منحتها من مهر. (أي أن الله تعالى قد أمره بأن يزوج بنته الأخرى أيضاً من عثمان)

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما زوج النبي ﷺ ابنته أم كلثوم من عثمان قال لأُم أيمن رضي الله عنها: «هيئي ابنتي أم كلثوم وزفيها إلى عثمان، وخففي بين يديها بالدف». ففعلت ذلك. فجاءها النبي ﷺ بعد الثالثة فدخل عليها فقال: «يا بُنَيَّةُ، كيف وجدتِ بعلك؟» قالت: خير بعلي.

ولم تنزل أم كلثوم عند عثمان -رضي الله عنهما- إلى أن توفيت سنة تسع من الهجرة بسبب مرض نزل بها. وصلى عليها رسول الله ﷺ وجلس على قبرها. وعن أنس بن مالك أنه رأى النبي ﷺ جالسا على قبر أم كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان.

وقد وردت في البخاري رواية عن ذلك كالتالي: عن هلال عن أنس بن مالك ﷺ قال: شهدنا جنازة بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ عند وفاة أم كلثوم رضي الله عنها: لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَلَاثَةُ زَوَّجَتَهَا عُمَانَ. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ وإذا عثمان جالس يبكي على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، قال: ومع رسول الله ﷺ صاحبه يعني أبا بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا عثمان؟ قال: أبكي يا رسول الله أنه انقطع صهري منك. فقال رسول الله ﷺ: لا تبكي، والذي نفسي بيده! لو أن عندي مائة بنتٍ تموتُ واحدةً بعد واحدةٍ زوجتُك أختي حتى لا يبقى من المائة شيء.

على أية حال، كان ذلك تعبيراً عن الحب والعلاقة القوية من كلا الجانبين. لقد حزن عثمان لأن علاقة الصهر مع النبي ﷺ قد انتهت الآن، لكن النبي الكريم ﷺ أكد معرباً عن مواساته الكبيرة له بأن هذه العلاقة قائمة، فلا تقلق بشأن ذلك.

ذكر مرزا بشير أحمد ﷺ هذا الزواج في كتابه سيرة خاتم النبيين كما يلي:

بعد وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ زوجة عثمان بن عفان، زوج النبي ﷺ ابنته الثانية أم كلثوم من عثمان، وكانت أكبر من فاطمة وأصغر من رقية. ولهذا السبب سمي عثمان بذي النورين. وكان هو العقد الثاني لأم كلثوم، حيث كانت هي وشقيقتها رقية قد عقد قرانهما سابقاً على ابني أبي لهب عم النبي ﷺ، لكنهما لم يذهبا بهما إلى بيتهما حتى انقطعت هذه العلاقة بسبب المعارضة الدينية.

لقد زوج النبي ﷺ رقية من عثمان أولاً وبعد وفاة رقية زوج أم كلثوم منه، ولكن من المؤسف أنه لم يستمر نسلهما لأن أم كلثوم لم تزرُق بأطفال، أما رقية فقد ولدت ابنها عبد الله إلا أنه توفي في السادسة من عمره. عُقد قران أم كلثوم في ربيع الأول سنة ٣ للهجرة.

من أحداث هذه الفترة غزوة بَحْرَانَ أيضاً، ويقال لها غزوة الْفُرْعِ وغزوة بني سليم أيضاً، وبُحْرَانَ مَعْدِنَ لِأَهْلِ الْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفُرْعِ، وهو وادٍ على مسافة ٩٦ ميلاً من المدينة. فقد تلقى النبي ﷺ الخبر بأن عدداً كبيراً من بني سليم قد اجتمعوا في بجران فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وفي رواية سيدنا عمر ﷺ وخرج إلى بجران مع ثلاثمائة من الصحابة، ولم يخبرهم عن السبب. ولما وصل الجيش الإسلامي إلى مسافة ليلة واحدة من بجران لقيهم رجل من بني سليم، فأخبر النبي ﷺ أنهم قد انتشروا، فسلمه النبي ﷺ لأحد الصحابة وتابع السير، حتى وصل إلى بجران، ولم يجد هناك أحداً، حيث كانوا قد انفضوا إلى مياههم. فرجع النبي ﷺ إلى المدينة ولم يلقَ كيداً. كان ﷺ قد خرج في السادس من جمادى الأولى وعاد في السادس عشر منه بعد أن أقام عشرة ليالٍ خارج المدينة. أما ابن إسحاق فقال على عكس ذلك إنه ﷺ كان يريد منع ركب قريش التجاري حتى وصل إلى بجران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام هناك شهري ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم عاد إلى المدينة، ولم يحدث أي قتال.

لقد بين سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ تفصيل الغزوة كالتالي:

لم تكن قد مضت مدةً طويلة على غزوة ذي أمر أي في أواخر ربيع الأول من العام الثالث الهجري بلغ النبي ﷺ خبر مخيف أن بني سليم يجتمعون بعدد كبير في وادي بجران مرة أخرى للهجوم المباغت على المدينة، وأن معهم جمعاً من قريش أيضاً، فاضطر ﷺ للخروج من المدينة مع جماعة من الصحابة. لكن هؤلاء السباع الوحشية، التي كانت تتحين الفرص للهجوم على صيدها بغتة وفي غفلة، حين علمت بخروج النبي ﷺ انتشرت فأقام النبي ﷺ هناك مدة قصيرة وعاد إلى المدينة.

يتبين بجلاء من اجتماع بني سليم وبني غطفان مرة بعد أخرى قصد الهجوم على المدينة أن هذه القبائل الهمجية المحاربة من صحراء العرب كانت عازمة على القضاء على الإسلام. وكانوا يترقبون الفرص ليل نهار للقضاء على المسلمين عند سنوح الفرصة. يمكن أن تقدر الأوضاع الحرجة التي كان يعيشها المسلمون في ذلك الزمن، فمن ناحية كانت قريش مكة الذين كانت عداوتهم للإسلام وروح انتقامهم لغزوة بدر قد أعمتهم، وكانوا قد حلفوا ملتصقين بكساء الكعبة، أنهم لن يجلسوا هادئين ما لم يقضوا على المسلمين قضاءً باتاً، وفي الطرف الآخر كانت هؤلاء الوحوش الضارية من صحراء العرب التي كانت تتعطش لدماء المسلمين لعداوتهم للإسلام وإثارة قريش لهم. فانظروا كم مرة اضطر النبي ﷺ شخصياً للخروج من المدينة خلال بضعة أشهر من بدر للدفاع عن النفس اتقاء نية القبائل العربية الوحشية في قتله. وكما قال السير وليام موير كان الطقس في الصحراء العربية الحارة أصلاً تلك الأيام حاراً جداً. فلو لم يحالفه نصر الله ولم يكن تيقظ النبي ﷺ قد جعل المسلمين منتبهين وحذرين كل حين وأن، ولم يتخذ ﷺ تدابير تشتت جمع العدو قبل هجومه المباغت لما كان هنالك شك في هلاك المسلمين ودمارهم نهائياً في تلك الأيام. هذه كانت الأخطار الخارجية، أما الأخطار الداخلية فلم تكن أقل منها، إذ كان في المدينة بالذات منافقون يعيشون مع المسلمين، وإذا سميناهم أعداء في زي الأصدقاء فلن نبالغ. وإضافة إليهم كان هناك يهود غدارون ومعتادون على نسج المكائد السرية، الذين كان عمق عداوتهم واتساعها قد بلغا منتهاها. سبحان الله كيف كان يعيش المسلمون الأوائل أياما خطيرة، فاسمعوا بلسان أحدهم، فعن سيدنا أبي بن كعب أن الصحابة في ذلك الزمن كانوا ينامون ليلاً مسلحين ويقضون النهار أيضاً مسلحين خوفاً من الهجوم المباغت، وكانوا يقولون فيما بينهم هل سنبقى أحياء إلى زمن نعيش فيه بسلام وطمأنينة ولا نخشى سوى الله. فكم تنم هذه الكلمات عن مصيبة ومسكنة وهلفة إلى العيش بسلام وأمان، يمكن أن يقدر ذلك كل عادل. والأوضاع نفسها تسود اليوم في بعض الأماكن ولا سيما في فلسطين.

وكانت من هذه الأحداث سرية زيد بن حارثة وقد ورد في تفصيل ذلك أن هزيمة بني سليم وإجلاء بني غطفان وهروب أبي سفيان في غزوة سويق وهزيمة بني ثعلبة وبني محارب في غزوة بني غطفان كانت تدل على التفوق العسكري للمدينة وعلى قوتها النامية. وفوق ذلك كله أصاب أعداء الإسلام اضطرابٌ كبير بسبب المشاكل الاقتصادية الناجمة عن نجاح المؤمنين في بدر والهزيمة النكراء لقريش، لأن الطريق المعروف من مكة إلى الشام كان يمر قرب البحر الأحمر غربي المدينة، وكان المسلمون سعوا إلى منع الركب التجاري لأبي سفيان على الطريق نفسه، وكانت القبائل المجاورة للمدينة أيضاً قد عقدوا الصلح مع النبي ﷺ، لذا لم يكن مشركو مكة يريدون استعمال هذا الطريق للتجارة بأي شكل كان. فقلقوا جداً من قطع المسلمين طريق تجارتهم، فبدأوا يبحثون عن طريق جديد تاركين الطريق المعروف

إلى الشام. ذات يوم قال صفوان بن أمية للكفار: إن محمداً وأصحابه قد نغصوا حياتنا، وعوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه لا يبرحون الساحل وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رءوس أموالنا ونحن في دارنا هذه ما لنا بها نفاق (أي سنأكل كل ما عندنا ولن يبقى عندنا ما نعيش عليه) إنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة. فقلق الجميع بسماع قول صفوان بن أمية. قال له الأسود بن المطلب: نكب عن الساحل وخذ طريق العراق. قال صفوان لست بها عارفاً. قال أبو زمعة فأنا أدلك على أخبار دليل بها. فهو فرات بن حيان العجلي، قد دوخها وسلكها. قال صفوان: فذلك والله فأرسل إلى فرات فجاءه فقال له صفوان إني أريد الذهاب إلى الشام مع الركب التجاري، وقد عور علينا محمد متجرنا لأن طريق عبراتنا عليه فأردت الشام عن طريق العراق. قال فرات فأنا أسلك بك في طريق العراق، ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد، إنما هي أرض نجد وبياف. قال صفوان فهذه حاجتي، أما الفيافي فنحن شاتون وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل. فتجهز صفوان للسفر، وأرسل إلى الجميع ليستعدوا للخروج مع الركب، وأخذ معه المال المدخر، وأخذ معه أواني من فضة وسبائكها والزاد الآخر، وأعطاه أبو زمعة أيضاً ثلاثمائة مثقال ذهب ونقر فضة ليشتري بها البضائع. مثقال واحد يساوي ٤,٣٧ غراما، باختصار كانت بكمية كبيرة.

وخرج صفوان بمال كثير -نقر فضة وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم- وخرج أبو سفيان بن حرب أيضاً بفضة كثيرة، وبعث غيره من قريش مع القافلة ذهبهم وفضتهم لشراء بضائعهم. وخرج مع صفوان وأبي سفيان في هذه القافلة التجارية أناس آخرون منهم عبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى وغيرهما. وسارت القافلة القرشية مع دليلها فرات بن حيان بطريق العراق إلى الشام من أجل التجارة. وورد عن تاريخ هذه السرية وأسمائها الأخرى أنها وقعت في جمادى الأخرى في العام الثالث من الهجرة. وتسمى هذه السرية سرية القردة أيضاً، وهي ماء في نجد.

لقد اتخذت قريش الحيلة القصوى في سلوك هذا الطريق العراقي المؤدي إلى الشام وسعوا بكل ما في وسعهم ألا يصل خبر هذه القافلة إلى المدينة وإلا استحال سفرها بذلك الطريق أيضاً، ولكن الله تعالى أراد غير ما أرادوا، وما استطاعوا كتمان خبرها. وبيان ذلك أن نعيم بن مسعود الأشجعي علم بخبر خطتهم هذه، حيث اتفق أنه ذهب إلى المدينة لبعض شأنه، وكان لا يزال كافراً مشركاً. وأقام في المدينة عند كنانة بن أبي الحقيق زعيم بني النضير، فسقاه الخمر. وكان الصحابي سليط بن النعمان بن أسلم يتردد على بني النضير كثيراً، فجاءهم وكنانة بن أبي الحقيق في مجلس بين أصحابه. وسكر نعيم بشرب الخمر وفقد السيطرة على نفسه وبث هذا السر للقوم وأخبرهم بكل ما يتعلق بمسير تلك القافلة التجارية مع دليلها صفوان إلى الشام عبر طريق العراق. فسمعه سليط بن النعمان، فخرج من ساعته إلى النبي

ﷺ وأخبره الخبر. فما لبث رسول الله ﷺ أن أعدَّ العدة وأرسل زيد بن حارثة في مئة ركب، وجعله أميراً عليهم. وكانت هذه أول معركة جعل فيها زيد بن الحارثة ﷺ أميراً على جيش المسلمين، وقد نجح في هذه المهمة.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ أرسل زيد بن الحارثة في مئة ركب، فخرجوا وأصابوا العير، وأفلت أعيان القوم إلى الفلاة. وأسّر الصحابة رجلاً أو رجلين منهم، وأتوا بأموال العير إلى رسول الله ﷺ، فخمّسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم في ذلك الوقت، وقسم النبي ﷺ ما تبقى من الأموال على أهل السرية.

وفي رواية أخرى أن زيداً سار بسرعة كبيرة، وباغت عير قريش وهم يهيمون بالتزول على ماء يقال له القردة، فهاجم العير وأصاب كل ما فيها. فما كان من صفوان بن أمية وأصحابه إلا الفرار. وأسّر المسلمون دليل العير فرات بن حيان، وقيل أسروا رجلين آخرين أيضاً. فوقع في أيدي المسلمين كثير من الأواني والفضة التي كانت مع العير والتي قدرّت قيمتها بمئة ألف درهم. فخمّس رسول الله ﷺ الغنائم وأخذ الخمس وقسم الأربعة الأخماس على رجال الجيش. وأتى بفرات بن حيان دليل قريش أسيراً فأسلم على يد النبي ﷺ المباركة. لا تزال هناك أمور وأحداث أخرى وسوف أتناولها فيما بعد إن شاء الله.

وليكن معلوماً أن سبب تعرض المسلمين لهذه القوافل التجارية هو أن قريشا كانت تعدّ عدتها لقتال المسلمين بأرباحها، وكان هذا يماثل الحظر الذي يفرضونه على العدو في العصر الحاضر. إن هؤلاء القوم يفرضون الحظر لتحقيق مآربهم الشخصية، وأحياناً يفرضون حظراً خاطئاً، فمثلاً فرضت الولايات المتحدة الأمريكية الحظر على أوغندا لأنها سنت قانوناً ضد "مجمع الميم". ومع أنهم لا يذكرون أن هذا هو سبب هذا الحظر ولكن هذه هي الحقيقة. هذا هو حال هؤلاء القوم الذين يريدون الطعن في الإسلام. على كل حال، سوف أذكر باقي الأحداث فيما بعد إن شاء الله.

أذكركم ثانية بالدعاء للمظلومين الفلسطينيين. على الأقل بدأ الآن البعض من غير المسلمين ومن الساسة يرفعون أصواتهم ضد هذا الظلم ولو إلى حد ما وعلى تخوّف. بل إن بعض اليهود أيضاً قد تبرأوا مما حدث وقالوا للحكومة الإسرائيلية ألا تشوّه سمعة اليهود. فبدأت أصوات ضعيفة ترتفع هنا وهناك من قبل الأغيار أيضاً. يقولون الآن إنهم سيوقفون الحرب لأربع ساعات كل يوم، ويسموها الهدنة المؤقتة، لكي تصل فيها المعونات إلى الفلسطينيين. والله أعلم إلى أي مدى سيعملون بهذه الهدنة، وكم يصبون على الفلسطينيين من الظلم خلال العشرين ساعة الباقية، وكم يلقون عليهم من القنابل. إن معظم الدول الكبرى والساسة لا يقيمون لأرواح الفلسطينيين أي قيمة، لأن لهم مآربهم ومنافعهم، ولكن يجب على هؤلاء أن يدركوا أن الله تعالى يمهّل لبعض الوقت، كما أن الحياة الدنيا ليست كل شيء بل

هناك عالم الآخرة أيضا. يظنون أنهم لو حققوا مآربهم في هذه الدنيا لنالوا كل شيء. كلا، بل قد يتمّ البطش بهم في هذه الدنيا، كما أن الله يبطش بهم في الآخرة أيضا. على كل حال، علينا أن نركز على الدعاء بأن يغيث الله المظلومين الفلسطينيين وينجيهم من هذا الظلم والعدوان.

بعد الصلاة سوف أصلي صلاة الجنّازة على بعض الغائبين. والجنّازة الأولى هي للسيدة منصورّة باسمّة زوجة السيد حميد الرحمن، وقد توفيت مؤخرًا، إنا لله وإنا إليه راجعون. وهي من طرف أبيها حفيدةٌ للنواب عبد الله خان ولفضرة صاحبزادي أمة الحفيظ بيغم، ومن طرف أمها هي حفيدةٌ لفضرة صاحبزاده مرزا شريف أحمد والسيدة بو زينب بيغم، وكانت ابنة ميان عباس أحمد خان والسيدة أمة الباري بيغم. كانت موصية بفضل الله تعالى، وصالحة وطيبة الفطرة.

لقد ألقى فضرة الخليفة الثالث عند إعلان عقد قرانها خطبة تضمنت بعض النصائح، ولذلك أقرأ عليكم بعض ما ورد فيها. قال حضرته: عند النكاح تقع على الفتى والفتاة مسؤوليات جديدة لم تفرض عليهما من قبل. هناك مسؤوليات تجاه الطرف الآخر، أعني هناك مسؤوليات على الزوج تجاه الزوجة ومسؤوليات على الزوجة تجاه الزوج. ثم هناك مسؤوليات ذات صلة بالأولاد ويؤديها معًا. ثم إن بعض المسؤوليات المتعلقة بالأولاد أيضا مفرقة عليهما، فمثلا ترضع الأم الوليد ولكن الأب لا يرضعه، ويرعى الأب الأولاد خارج البيت ويراقبهم كيلا يفسدوا، بينما تتعلق مسؤوليات الأم بداخل البيت. على كل حال، لو أن كلا الزوجين أدى ما عليه من الحقوق والواجبات لاجتنب أولادنا كثيرا من المقبوحات اليوم أيضا.

ثم قال حضرته أيضا: إن الآيات التي نقرأها بهذه المناسبة قد نبّه الله فيها إلى هذه المسؤوليات الجديدة. يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾. لقد قال الله تعالى هنا اتقوا الله، وقد أمر بالتقوى في سياقات أخرى كثيرة أيضا، لكن الآيات التي تُقرأ عند إعلان النكاح أمرنا فيها بتقوى ربنا. وقد نبّه الله تعالى بذكر تقوى الرب إلى أنه تعالى كما يربي عباده الآخرين فهو يربيكما أيضا، وستقع عليكم الآن مسؤوليات جديدة ذات صلة بالربوبية والتربية، ولن تستطيعا أداءها إلا بتقوى ربكما حقا.

وثانيا، إن العلاقة بين الزوجين علاقة حسّاسة جدا، ويمكن أن يقع بينهما كثير من سوء التفاهم نتيجة عدم الحيلة والحذر، ولكي نجتنب ذلك قال الله تعالى لنا ﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي لا ينفعكم هنا الصدق وحده، بل قولوا قولاً سديدا لا عوج فيه. لو اتبعتم هذا الطريق لن يقع بينكما أي نوع من سوء التفاهم أو السخط.

وثالثا قال الله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، أي أن كباركم قاموا بتربيتكم حفاظا على مستقبلهم، والآن من واجبكم تربية أولادكم حفاظا على مستقبلكم. علما أن هذا المستقبل المتعلق بتربية الأبوين لأولادهما يختلف من جيل إلى جيل، وليس مستقبلا من نوع واحد، ذلك لأن العالم

والمجتمع في حركة مستمرة. إن الزمان قد تغير الآن رأساً على عقب، وتُرى في الأفق آثار ذلك الانقلاب العظيم الذي بُشّرنا به على مرّ العصور لذا فإن مسؤولية الأب اليوم تختلف عن المسؤولية التي كانت علينا، بل يجب علينا أن نتحمل مسؤولية أبنائنا بمزيد من الحذر، مع مراعاة المسؤوليات الأوسع، حتى إذا وقعت على عاتق الجيل القادم مسؤولية التربية الأحمدية، التي تتعلق بالعالم كله، فيكون كل جيل قادم مستعداً لتحمله. وفقنا الله تعالى لفهم هذه الأشياء والعمل بها.

ثم قال حضرته: إن القران الذي أقوم بإعلانه هو زواج فتاة عزيزة هي حفيدة عمّتنا الصغيرة السيدة أمة الحفيظ زوجة السيد نواب عبد الله خان. سيبدأ الجيل الرابع للمسيح الموعود عليه السلام. وهي حفيدة حضرة مرزا شريف أحمد من الأم، ومن خلال هذا الطريق الثاني هي ترتبط بالمسيح الموعود عليه السلام. المسؤوليات مضاعفة. وإذا كانت المسؤوليات مضاعفة فالإنذار مضاعف أيضاً. ثم وضح حضرته لصغار أسرة المسيح الموعود عليه السلام وكبارها أنه يجب عليهم أن يفهموا مسؤولياتهم لأنهم إذا لم يؤدّوا المسؤوليات المضاعفة، فلا بد أن يروا الإنذار المضاعف أيضاً. نسأل الله تعالى أن يجعل كبار الأسرة وصغارها يفهمون هذا الأمر.

ثم قال: إنني عندما أعلن عن عقد قران يرتبط فيه الولد والفتاة بالمسيح الموعود عليه السلام من حيث القرابة أشعر بالقلق وأميل إلى الدعاء، وفقهم الله تعالى لمعرفة هذه المكانة. إنهم يختلفون عن الآخرين من حيث كونهم خداماً، ويجب عليهم أن يقضوا حياتهم في العالم كخدام أكبر. المهم، أن هذه كانت كلمات نصيحة لذا قد ذكرتها.

وعن الحياة الشخصية للسيدة باسمه منصوره، كتبت ابنتها السيدة رابعة أنها عرفتنا على الله تعالى في طفولتنا. وكانت تؤكد على الدعاء ليرزقني الله زوجاً صالحاً. كثيراً ما كانت تقول: يجب أن تدعي الله ليربطك بأهل الخير. وفهمنا معنى هذا الدعاء عندما كبرنا ولم نفهمه عندما كنا صغيرات. قالت: إن والدي كانت ودودة جداً، وكانت تهتم بالآخرين بالتضحية بنفسها وهذه هي الحقيقة. كان يبدو للناس أنها تسرف على نفسها، لكنه ليس صحيحاً، فهي كانت تضحى بنفسها وتهتم بالآخرين. على سبيل المثال، كلما جاءت إلى لندن لحضور الجلسة السنوية، كانت تجلب هدايا للفقراء ولا تأخذ أي شيء لنفسها.

كما قامت بتربية فتاة وأحسنت تربيتها ثم زوجها. وبالإضافة إلى ذلك زوجت العديد من الفتيات. وكان المحتاجون يأتون إلى منزلها بكثرة. وكانت ترسل الطعام إلى الجيران. كان منزلها شبه مطعم عام، حتى أن كناس الشوارع في الخارج كان يأتي ويأكل عندها في وقت الطعام. وكان الكثير من الناس يأخذون منها مساعدة شهرية. وكانت إذا سئلت أن تدخر شيئاً لنفسها قالت: لم أفكر في الغد قط، إن الله مالك حاجتي المالية. كانت تحترم واقفي الحياة جداً وتُكرمهم، وتعني بهم. وكانت تبقى على

تواصل مع واقفي الحياة من الأقارب وتدعوهم إلى المآدب وتقول (كانت تقول لي أيضاً): إن واقفي الحياة يقدمون التضحية لذا يجب الاعتناء بهم. كانت تعامل جميع الأقرباء بحسن الخلق. وكانت تقول دائماً: لا أفكر فيما فعله الآخرون بي. كلما صدر منها خطأ (في بعض الأحيان يمكن أن يخطئ المرء في حق الآخر)، تبادر بطلب العفو. وإذا وبخت موظفاً اعتذرت منه أيضاً وأعطته مكافأة مادية.

ويقول ميرزا تقى الدين، صهر المتوفاة، إنها كتبت الوصية في سن مبكرة جداً. عندما رأيت استمارة وصيتها فوجئت برؤيتها فكانت في سن الرابعة عشرة تقريباً قد انضمت إلى نظام الوصية. يقول: أخبرتني برؤية رأتها في عهد طفولتها. قالت: رأيت في الرؤيا أنني أبكي وأمسك بقدم الله بشدة، وعندما استيقظت كنت أبكي حقاً. وقالت: إن الله تعالى حتى الآن يحقق جميع أموري.

من معارفها هنا السيدة روجي شاه قالت: إذا كنت صداقة فإنها وفيّة بها، وكانت لديها طبيعة ممتنة للغاية، كانت تعيش بحسب مرضاة الله تعالى، شاكراً لنعمه. كما كانت تعامل الناس بلطف، ثم تظهر الامتنان كثيراً لدرجة أن الإنسان يشعر بالخلج.

تقول زوجة أخيها، السيدة طاهرة فاروق: إنها اتخذتني صديقة وأختاً بدلاً من أن تحسبني زوجة أخيها. كانت تتمتع بشخصية محبة ونزيهة. كانت تعرف كيفية الحفاظ على العلاقات. ما أحبته لنفسها أحبته للآخرين، ولم تكن تخفي شيئاً في قلبها، بل كانت تقول صراحة. وكانت ملتزمة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن الكريم، ومرتبطة بالخلافة ارتباطاً شديداً. وكانت تهتم بكل ما يوكل إليها من أعمال الجماعة. ندعو الله أن يغفر لها ويرحمها ويوفق أولادها لمواصلة أعمالها الصالحة. ويلهم زوجها وأولادها جميعاً الصبر والسلوان.

الجنزاة الثانية هي للسيد شودري رشيد أحمد، الذي كان نائب مسجّل الجامعة الزراعية في مدينة فيصل آباد سابقاً. لقد كان في أمريكا في هذه الأيام. توفي قبل أيام قليلة. إنا لله وإنا إليه راجعون، وكان منضمّاً إلى نظام الوصية بفضل الله تعالى. ابنه السيد رفيق طاهر يقوم بخدمة الجماعة في لوس أنجلوس. وهو يقول: إن الأحمدية جاءت في أسرته أولاً عن طريق أخيه الأكبر شودري بركات علي، وبعد ذلك بايع والده وبقيّة الأسرة. في مفسدة ١٩٧٤، هاجم حشد منزله ونهبوه وأحرقوا جميع أغراض البيت مع أن منزله كان داخل منطقة الجامعة، في مباني الجامعة.

فقد غادر من هناك في ذلك الوقت، ولما تحسنت الظروف عاد إلى الجامعة بعد شهرين أو ثلاثة. قال نائب المستشار أن مالك معمل كريست (Crescent Mill) يقول بأنه يريد تعويضك عن خسارتك. فأخبر بحجم الضرر الذي حدث. رفع السيد شودري رشيد إصبعه نحو السماء وقال: قطعاً لا، لن أطلب المساعدة من أحد. أنا أتحمّل هذه الخسارة في سبيل الله تعالى، لقد حدثت لي هذه الخسارة

في سبيل الله تعالى وسيعوض الله تعالى هذه الخسارة. وبالفعل أنزل الله تعالى عليه أفضاله بحيث تم تعويض كل الخسارة في وقت قصير جداً.

وكانت تربطه بالخلافة علاقة حب وطاعة عظيمة. وكان يحاول تنفيذ الأوامر بكلمة بكلمة. وكان أميناً إلى درجة أنه كان عضواً في لجنة المنح للجامعة. وهذا أيضاً شرف عظيم. ذات مرة كان هناك اجتماع فحصل من أجل حضوره على أموال تذكرة الدرجة الأولى كأجرة القطار. وفي طريق العودة، قال بعض أقاربه نريد أن نذهب معاً، فغير تذكرته من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية لكي يذهب مع أقاربه الذين ذهبوا في الدرجة الثانية. وأرجع النقود المتبقية إلى الحكومة. وذات مرة ذهب إلى مكتب رئيس لجنة المنح الجامعية وعندما وصل إلى هناك أرسل بطاقته إلى الداخل لمقابلته، ولكن الرئيس خرج بنفسه وكان يجلس هناك أحد أصدقائه، فأخبره أن هذا هو الشخص الذي كنت أذكر نزاهته لك أنه شخص أمين. فعرفهما المرحوم بالجماعة فوراً وقال إنني أحمدني، وكل هذا الصدق والأمانة التي أتحملي بها هي بسبب أنني أحمدني.

ففيه درس للأحمديين أيضاً، أنه يجب عليهم دائماً أداء واجباتهم بأمانة، ويجب ألا يقعوا أبداً في أي نوع من الجشع المالي.

كان المرحوم بارزاً في دفع التبرعات والتضحيات المالية. وكان يدفع بانتظام في صندوق التحريك الجديد والوقف الجديد نيابة عن النبي محمد ﷺ والمسيح الموعود عليه السلام بالإضافة إلى والديه وإخوته. لقد كان شخصاً محباً للغاية. وكان يعامل جميع طلاب الجامعة كأبناء وإخوة. وكنا نصلي إحدى الصلوات معاً في بيته كل يوم، وخاصة صلاة المغرب. كان يلتقي بالجميع دائماً بوجه طلق. كان رجلاً ذا قناعة عظيمة. نسأل الله له المغفرة والرحمة وأن يوفق أولاده لمواصلة حسناته.